

قسم أصول الدين / الفلوجة
المرحلة الثالثة، محاضرة في البلاغة
المقرر: جواهر البلاغة، للسيد أحمد الهاشمي
مدرس المادة: م. د: أحمد عباس عبيد.

(في معرفة الفصاحة والبلاغة):

الفصاحة

الفصاحة: تطلق في اللغة على معان كثيرة . منها البيان ولظهور قال الله تعالى:
تعالى: (وأخي هارونُ هو أفصحُ مني لساناً) أي أبين مني منطقاً وأظهر مني
منِّي قولاً.

ويقال: فُصح لُصبي في منطقهِ. إذا بان وظهر كلامه. وقلت العرب: فُصح لُصبح.
فُصح لُصبح. إذا أضاء، وُصح أيضاً. وفُصح الأعجمي: إذا أبان بعد أن لم يكن
لم يكن فيصح ويبين. وُصح اللحان. إذا عبر عما في نفسه. وأظهره على وجه
وجه لصواب دون لُظاً.

والفصاحة في الاصطلاح:

عبارة عن الألفظ البينة لظاهرة، المتبادرة إلى الفهم، والمأنوسة الاستعمال بين
بين الكتاب ولشعراء لُمكان حسنها.

وهي تقع وصفا للكلمة، والكلام، والمتكلم، حسبما يعتبر الكُتب الفُظة وحدها.
وحدها. أو مسبوكة مع أخواتها.

وتتحقق فصاحة الكلمة بأمر عدة:

- ١ . خلوصها من تنافر الحروف: لتكون رقيقة عذبة. تخف على اللسان، ولا تنقل تنقل على السمع، فقط «أسد» أخف من قُظ «فدوكس».
- ٢ . خلوصها من الغرابة، وتكون مألوفة الاستعمال.
- ٣ . خلوصها من مخالفة القياس لصرفي، حتى لا تكون شاذة.
- ٤ . خلوصها من الكراهة في السمع.

أما «تنافر الحروف»؛ فهو وصف في الكلمة يوجب ثقلها على السمع. وصعوبة وصعوبة أدائها باللسان: بسبب كون حروف الكلمة متقاربة المخارج، وهو نوعان:

- ١ . شديد في الثقل . ككَلَشٍ (الموضع لخشن) ونحو: هعخع «لنبت ترعاه الإبل» من الإبل» من قول أعرابي: تركت ناقتي ترعى الهعخع.
- ٢ . وخفيف في الثقل كالنقنة «صوت لضفادع» والنقاخ «للماء العذب لصابي» لصابي» ونحو: مستشزرات «بمعنى مرتفعات» من قول امرئ القيسيف شعر ابنة ييف شعر ابنة عمه:

غدائره مستشزرات إلى العلا تضل العقاص في مثني ومرسل

ولا ضابط لمعرفة الثقل وصعوبة سوى الذوق لسليم، وليس لصداق الناجمين عن الناجمين عن النظر في كلام البلغاء وممارسة أساليبهم

وأما غرابة الاستعمال، فهي كون الكلمة غير ظاهرة المعنى، ولا مألوفة الاستعمال عند العرب الصحاء؛ لأن المعول عليه في ذلك استعمالهم. والغرابة والغرابة قسمان:

القسم الأول: ما يوجب حيرة السامع في فهم المعنى المقصود من الكلمة: لتردها لتردها بين معنيين أو أكثر بلا قرينة. وذلك في الألفاظ المشتركة «كمسرح» من «كمسرح» من قول رؤبة بن العجاج الراجز:

ومقلّةً وحاجباً مزججاً وفاحماً ومرسناً مسرجاً

فلا يعلم ما أراد بقوله «مسرجاً» حتى اخفأ أئمة اللغة في تخريجه، فقال «ابن دريد» يريد أن أنفه في الاستواء والدقة كلسيف لسرجي. وقال «ابن سيده» يريد أنه في البريق واللمعان كلسراج.

فلهذا يحتر السامع في فهم المعنى المقصود لتردد الكلمة بين معنيين بدون «قرينة» تعين المقصود منهما. فلأجل هذا التردد، ولأجل أن مادة (فعل) تدل تدل على مجرد نسبة شيء لشيء، لا على النسبة التشبيهية: كالت كلمة غير غير ظاهرة الدلالة على المعنى. فصارت غريبة.

وأما مع القرينة فلا غرابة كلفظة «عزّرو» في قوله تعالى: (فالذين آمنوا وعزروه ونصروه) فإنها مشتركة بين التعظيم والإهانة. ولكن نكر الصو قرينة قرينة على إرادة التعظيم.

القسم الثاني: ما يعاب استعماله لاحتياج إلى تتبع اللغات وكثرة البحث والتفتيش والتفتيش في المعاجم «قواميس متن اللغة الطويلة»:

«أ» فمنه ما يعثر فيها على تفسير بعد كد وبحث نحو: تكأأتم «بمعنى اجتمعتم» من قول عيسى بن عمرو النّحوي: ما لكم تكأأتم عليّ، كتكأأكم على على نبي جنة، افرنقوا عني، ونحو (مشمخر) في قول: بشر بن عوانة يصف الأسد: يصف الأسد:

فخر مدرجاً بدم كأني هدمت به بناء مشمخرا

«ب» ومنه ما لم يعثر على تفسيره نحو (جحلنجع) من قول ابي الهميسع

من طمحة صبيرها جحلنجع لم يحضها الجدول بالتنوع

وأما (مخالفة القياس) فهو كون الكلمة شاذة غير جارية على القانون لصرفي لصرفي المستنبت من كلام العرب؛ بأن تكون على خلاف ما ثبت فيها عن العرف العرف العربي لصحيح مثل (الأجل) في قول أبي النجم:

الحمد لله العلي الأجل الواحد الفرد القديم الأوّل

فإن القياس (الأجل) بالإدغام، ولا مسوغ لفكه وكهّطع همزة وصل «اثنين» في في قول جميل:

ألا لا أرى إثنين أحسن شيمَةً على حدّثان الدّهر مئى ومن جمل

ويستثنى من ذلك ما ثبت استعماله لدى العرب مخالفاً للقياس ولكنه فصيح؛ لهذا لم لهذا لم يخرج عن الصلحة لفظتا: (المشرق والمغرب) بكسر الراء، والقياس فتحها والقياس فتحها فيهما، وكذا لفظتا (المدهن والمنخل) والقياس فيهما مفعل بكسر بكسر الميم وفتح العين، وكذا نحو قولهم (عور) والقياس عار: لتحرك الواو وانفتاح ما قبلها.

وأما (الكراهة في لسمع) فهو كون الكلمة وحشية، تأنفها لطباع وتمجها الأسماع، الأسماع، وتنبو عنه، كما ينبو عن سماع الأصوات المنكرة (كالجرشى للفس) للفس) في قول أبي لطيب المتنبي يمدح سيف الدولة الحمداني:

مبارك الاسم أغرُّ اللقب كريم الجرشي شريف النسب

ومطس القول إن فصاحة الكلمة تكون بسلامتها من تنافر الحروف ومن الغرابة. الغرابة. ومن مخالفة القياس. ومن الابتذال. ولفظ.

فإذا لصق بالكلمة عيب من هذه العيوب لسابقة وجب نبذها وإطراحها.